# امبراطور المانيا والحرب

## (٨)

### مقابلة الامبراطورة الثانية

في يونيو سنة ١٩١٧ جاءني كتاب من طبيب الامبراطورة في طيه كتاب قال انهُ بخط يدها ولكنهُ بلا عنوان وبلا امضاء وفيهِ تستدعيني لزيارة القصر الملكي في هومبرج وكان هناك مقرّ رآسة اركان الحرب حينئذٍ فلبيت الدعوة وسافرت الى مدينة فرنكفورت على ان اسافر منها الى هومبرج . فلما بلغتها قصدت احد فنادقها لابيت فيهِ ليلتي . فلما علموا اني اميركي ابوا ان يقبلوني قبلما اسجل اسمي في قسم البوليس . فذهبت الى القسم وكانت الشوارع مظلمة تحوطاً من الغارات الجوية فلم اهتدِ الى القسم الاَّ بعزيد الصعوبة ثم لما بلغتهُ وجدتهُ مقفلاً . فعدت الى الفندق وشرحت لهم مسئلتي وعرضت عليهم اوراقاً تثبت لهم شخصيتي والمهمة التي انا قادم بها فابوا ان يطلعوا عليها وقالوا اذهب الى القسم واقرع الجرس يجيبوك . وما زلت بين روحة وجيئة حتى الساعة الثانية صباحاً

ولم اكد استقرّ في مضجعي حتى نهضت باكراً لركوب القطار الذي يسافر الى هومبرج . فلما بلغتها كنت متعباً مغتاظاً بسبب ما جرى لي في الليلة البارحة . وكان على المحطة مركبة تنتظرني فركبتها الى القصر الملكي فقدّم اليّ طعام الصباح وكان مؤلفاً من خبز ابيض ولحم بارد وخمر مبردة من الموزل . ولا بدَّ من القول هنا اني قضيت في القصر ثلاثة ايام كان الطعام الذي قدّم اليّ فيها من نوع الطعام الذي كان يؤكل قبل الحرب ولم أرَ دليلاً يدلُّ على ان الاسرة المالكة شعرت بقلة الطعام التي كانت الامة الالمانية باسرها تشكو منها

وبعد الطعام اقتادوني الى غرفة شرقية بديعة مزخرفة الابواب والجدران . ولم يطل المقام حتى دخلت الامبراطورة فحيتني تحية احسن مما رأيت منها قبلاً وسألتني هل لقيت مشقة في الوصول الى هومبرج فقصصت عليها خبر ما جرى لي . فاستنكرت ذلك قائلة انها اصدرت اوامرها الى الجنرال فون كل قائد موقع

ولقد يرجح بانه يهتم بامر سفري فلا تصديق من شيء في طريقي . اما بسبب اهمال الجبران لامري فانها كانت بعرسه المقبل. فانهُ وهو شيخ هرم بلغ السادسة والسبعين كان يعدّ العدة للاقتران بشابة تصغره ٣٦

ولما شرعت اعالج الامبراطورة امرت بان تخرج جميع وصيفاتها من الغرفة كأنها كانت عاقدة العزم ألاّ يرين كيف اعالجها . والتجأت الى طاولة صغيرة في اثناء المعالجة فنادت وصيفة اسمها مرتا باعلى صوتها وامرتها قائلة « اذهبي الى غرفة الجلالة وأتي بالطاولة الصغيرة التي فيها » ففعلت . وقد لاحظت ان الامبراطورة اذا كلمت خادماتها عن شيء يخص الامبراطور فانما تشير اليهِ بلفظة « جلالة » لا « جلالتهِ » كما هي العادة . ولعلّ ذلك لما بين اهل البيت الواحد من ارتفاع الكلفة

## الامبراطورة وخدمها

مما لاحظتهُ ايضاً مدة مقامي في القصر ان خدم الامبراطورة كثيرات الحياء والخوف منها. وقد استغربت ذلك جداً ولاسيما انهُ لم يبدُ عليها البتة اثر التضجر منهنّ او الفظاظة في معاملتهنّ . وكنت وانا اعالجها اضطر احياناً الى التوقف عن عملي ريثما تقرأ كتاباً او تلغرافاً جيء بها اليها . وغنيٌّ عن القول اني لم اكن الاوص الى كتبها لاطلع على ما فيها . ولو فعلت ما استطعت قراءتها لان الامبراطورة كانت تمسكها على شكل يمنع اطلاعي عليها لو اردت ذلك . ومع هذا كلهِ وقع نظري مرة على سطر من تلغراف ارسلهُ فون جونتار الادجوتنت وفيهِ قولهُ « يهاجمنا الانكليز على الميسرة » . فاستنتجت من ذلك ان الامبراطورة تطلع على كل ما يجري في الميادين

## الامبراطورة والممدودية

لم تعنَ الامبراطورة بالسياسة مطلقاً بل همها منحصر في مسائل البيت والكنيسة كما قلت قبلاً . وقد سألتني مسائل كثيرة عن المعيشة العائلية والكنائس في اميركا واخبرتني ووجهها يطفح بشراً وسروراً بعزمهم على تمديد ( تنصير ) ابن ابنتها وعمرهُ شهران . ولما قلت لها اني لم اتعمدحتى بلغت الخامسة من سني اضطربت كمن اخذتهُ رعدة

## قصور الامبراطور

وقبلما غادرت هومبرج سألتني عن طاب لك المقام فيها فشكرت لها ما لقيت من العناية واطريت الطعام بوجه خاص قائلاً انهُ مثل الطعام الذي عرفناهُ قبل الحرب . فقالت « نعم عندنا كل شيء . وانا شديدة العناية بطعامي لاني شديدة الحرص على صحتي » . وانتقلت من حديث الطعام الى حديث قصور الامبراطور فقلت « ليس اعجب من ان يكون لاحد ستون قصراً مثل هذا القصر فقد ادهشتني محاسنهُ كثيراً . اقول ذلك لاني سمعت ان للامبراطور ستين قصراً مثلهُ اليس الامر كذلك » . فقالت « عندهُ بين الخمسين والستين لاستون تماماً » . ولما قالت هذا القول خطر ببالي حديث الامبراطور معي عن اصحاب الملايين من الاميركيين وكيف يجمعون اموالهم وقولهُ لي حينئذٍ « هذا ما ولد روح الاشتراكية »

ولما ودعت الامبراطورة لاعود الى برلين لم تشكرني بكلمة على تركي محل عيادتي ثلاثة ايام اكراماً لها

والالمان يحترمون الامبراطورة ويعجبون بمبراتها الكثيرة ولكنهم لا يوقرونها كما يوقرون الامبراطور . وقد اشتهرت بينهم بشدة شكيمتها وكبريائها ولطالما سمعتهم يقولون « علام هذا الكبر فانها لم تكن ذات منزلة معروفة حتى تزوجها الامبراطور »

شاهدتها آخر مرة في قصر برلين فرأيتها مكتئبة كأنما غرزتها النائبة أماطت حجب الغيب عما يدخرهُ المستقبل لبلادها ولقومها فرأت ما لم يرهُ زوجها الامبراطور فبات قرير العين ريان الجفون

## ولي العهد

اول مرة عالجت ولي العهد فيها كانت في ربيع سنة ١٩٠٥ قبل زواجهِ ببضعة اشهر . وكان لابساً ملابس ضابط المشاة لا يميزهُ عن الضباط سوى حلوّ وجههِ من الندب التي تصيب وجوههم من كثرة مبارزاتهم

ولما دخل محل عيادتي تناول من جيبهِ نسخة من جريدة هزلية فيها صورتهُ وقد اضحكتهُ كثيراً حتى عزم على ان يري اهل بيتهِ اياها . وكان يلبس على معصمهِ

ساعة ولكن عادة لبس النساءات على المعاصم كانت حينئذٍ زيّاً شائعاً بين النساء دون الرجال . وظهر لي انهُ ذكيٌّ سريع الخاطر ولكن ليس الى حدّ النبوغ

على ان اظهر الصفات التي رأيتها عليهِ في تلك الزيارة شدة انفعالهِ حتى كان يهتزّ من رأسهِ الى اخمصهِ . وكان يخاف الالم جدًّا وعرف اني لحظت ذلك منهُ فقال « ارى انه يجدر بولي العهد وحاكم المانيا المستقبل ان يكون شجاعاً في كل وقت ولكن اكره الذهاب الى اطباء الاسنان »

وسألني « هل رأيت احداً من اهل البلاط حديثاً » فقلت « رأيت الكونت اولنبرج رئيس البلاط فانهُ زارني امس لمعالجة اسنانهِ » . فقال « لا يدهشني مجيئهُ اليك وكيف يأمل ان تكون اسنانهُ صحيحة وهو يأكل على الدوام . اما انا فآكل قليلاً جدًّا لاني اريد ان ابقى نحيفاً واكره السمان » . فاصلحت لهُ خطأهُ من جهة الكونت وقلت ان اسنانهُ من اعجب ما رأيت في شيخ يبلغ السبعين مثلهِ . والناظر اليهِ يظنهُ اصغر مما هو بعشر سنين

## مواعيده

ضايقني ولي العهد من جهتين الواحدة ان خوفهُ من الالم منعني من معالجتهِ المعالجة الوافية . والثانية مواعيدهُ المرقومية كأنهُ لا يعرف معنى الموعد والميعاد . فمثلاً كان يعدني بان يزورني الساعة التاسعة ونصفاً فلا يفعل . وفي الساعة العاشرة يكلمني بالتلفون ويقول انهُ يأتي الساعة ١١ فيأتي الساعة ١٢ . ولما تكرر ذلك منهُ قلت لهُ بصريح اللفظ ان سلوكهُ هذا يفسد عليَّ صناعتي . وزارني سبع مرات او ثمانياً ثم انقطع عني عشر سنوات

وبعد زيارتهِ الاخيرة لي قال لبرنس بلاس « اؤمل ان لا اعود فارى طبيباً للاسنان طول عمري » . اما انا فلم يحزني هذا القول منهُ لان الغرم من زياراتهِ اكثر من الغنم وكلُّ ما اسفت لهُ حينئذٍ ان الفرص لم تمكني من ان ادرس حق الدرس اخلاق رجل سيكون حاكم الامة الالمانية في المستقبل

ومما يدلُّ على شدة اثر التربية العسكرية فيهِ انهُ كان ذات يوم راكباً اتومبيلهُ واذا بهِ يسمع صوت اتومبيل اميرٍ وراءهُ فقال الى احد جانبي الطريق ووقف وبينما مرَّ الامير وقف وحيَّا التحية العسكرية ثم استأنف مسيرهُ

قصور الامبراطور

وقبلما غادرت هومبرج مأدبتي محل طاب لك المقام فيها فشكرت لها ما لقيت من العناية واطريت الطعام بوجه خاص قائلاً انهُ مثل الطعام الذي عرفناهُ قبل الحرب . فقالت « نعم عندنا كل شيء . وانا شديدة العناية بطعامي لاني شديدة الحرص على صحتي » . وانتقلت من حديث الطعام الى حديث قصور الامبراطور فقلت « ليس اعجب من ان يكون لاحد ستون قصراً مثل هذا القصر فقد ادهشتني عاصمة كثيراً . اقول ذلك لاني سمعت ان للامبراطور ستين قصراً مثلهُ اليس الامر كذلك » . فقالت « عندهُ بين الخمسين والستين لاستون تماماً » . ولما قالت هذا القول خطر ببالي حديث الامبراطور معي عن اصحاب الملايين من الاميركيين وكيف يجمعون اموالهم وقولهُ لي حينئذٍ « هذا ما ولد روح الاشتراكية »

ولما ودعت الامبراطورة لاعود الى برلين لم تشكرني بكلمة على تركي محل عيادتي ثلاثة ايام اكراماً لها

والالمان يحترمون الامبراطورة ويعجبون بمبراتها الكثيرة ولكنهم لا يوقرونها كما يوقرون الامبراطور . وقد اشتهرت بينهم بشدة شكيمتها وكبريائها ولطالما سمعتهم يقولون « علام هذا الكبر فانها لم تكن ذات منزلة معروفة حتى تزوجها الامبراطور »

شاهدتها آخر مرة في قصر برلين فرأيتها مكتئبة كأنما غرزتها النائبة أماطت حجب الغيب عما يدخرهُ المستقبل لبلادها ولقومها فرأت ما لم يرهُ زوجها الامبراطور فبات قرير العين ريان الجفون

ولي العهد

اول مرة عالجت ولي العهد فيها كانت في ربيع سنة ١٩٠٥ قبل زواجهِ بضعة اشهر . وكان لابساً ملابس ضابط المشاة لا يميزهُ عن الضباط سوى خلوّ وجههِ من الندب التي تصيب وجوههم من كثرة مبارزاتهم

ولما دخل محل عيادتي تناول من جيبهِ نسخة من جريدة هزلية فيها صورتهُ وقد اضحكتهُ كثيراً حتى عزم على ان يري اهل بيتهِ اياها . وكان يلبس على معصمهِ

ساعة ولكن عادة لبس الساعات على المعاصم كانت حينئذٍ زيّاً شائعاً بين النساء دون الرجال . وظهر لي انهُ ذكيٌّ سريع الخاطر ولكن ليس الى حدّ النبوغ

على ان اظهر الصفات التي رأيتها عليهِ في تلك الزيارة شدة انفعالهِ حتى كان يهتزّ من رأسهِ الى اخمصهِ . وكان يخاف الالم جدًّا وعرف اني لحظت ذلك منهُ فقال « ارى انه يجدر بولي العهد وحاكم المانيا المستقبل ان يكون شجاعاً في كل وقت ولكن اكره الذهاب الى اطباء الاسنان »

وسألني « هل رأيت احداً من اهل البلاط حديثاً » فقلت « رأيت الكونت اولنبرج رئيس البلاط فانهُ زارني امس لمعالجة اسنانهِ » . فقال « لا يدهشني مجيئهُ اليك وكيف يأمل ان تكون اسنانهُ صحيحة وهو يأكل على الدوام . اما انا فآكل قليلاً جدًّا لاني اريد ان ابقى نحيفاً واكره السمان » . فاصلحت لهُ خطأهُ من جهة الكونت وقلت ان اسنانهُ من اعجب ما رأيت في شيخ يبلغ السبعين مثلهِ . والناظر اليهِ يظنهُ اصغر مما هو بعشر سنين

## مواعيده

ضايقني ولي العهد من جهتين الواحدة ان خوفهُ من الالم منعني من معالجتهِ المعالجة الوافية . والثانية مواعيده البرقوبية كأنهُ لا يعرف معنى الموعد والميعاد . فمثلاً كان يعدني بأن يزورني الساعة التاسعة ونصفاً فلا يفعل . وفي الساعة العاشرة يكلمني بالتلفون ويقول انهُ يأتي الساعة ١١ فيأتي الساعة ١٢ . ولما تكرر ذلك منهُ قلت لهُ بصريح اللفظ ان سلوكهُ هذا يفسد عليَّ صناعتي . وزارني سبع مرات او ثمانياً ثم انقطع عني عشر سنوات

وبعد زيارتهِ الاخيرة لي قال للبرنس بلاس « اؤمل ان لا اعود فارى طبيباً للاسنان طول عمري » . اما انا فلم يحزني هذا القول منهُ لان الغرم من زياراتهِ اكثر من الغنم وكل ما اسفت لهُ حينئذٍ ان القرش لم يمكني من ان ادرس حق الدرس اخلاق رجل سيكون حاكم الامة الالمانية في المستقبل

ومما يدلُّ على شدة تربية العسكرية فيهِ انهُ كان ذات يوم راكباً اتومبيلهُ واذا به يسمع صوت اتومبيل ابيهِ وراءه فقال الى احد جانبي الطريق ووقف ريثما مرَّ ابوهُ فوقف وحيّا التحية العسكرية ثم استأنف مسيره

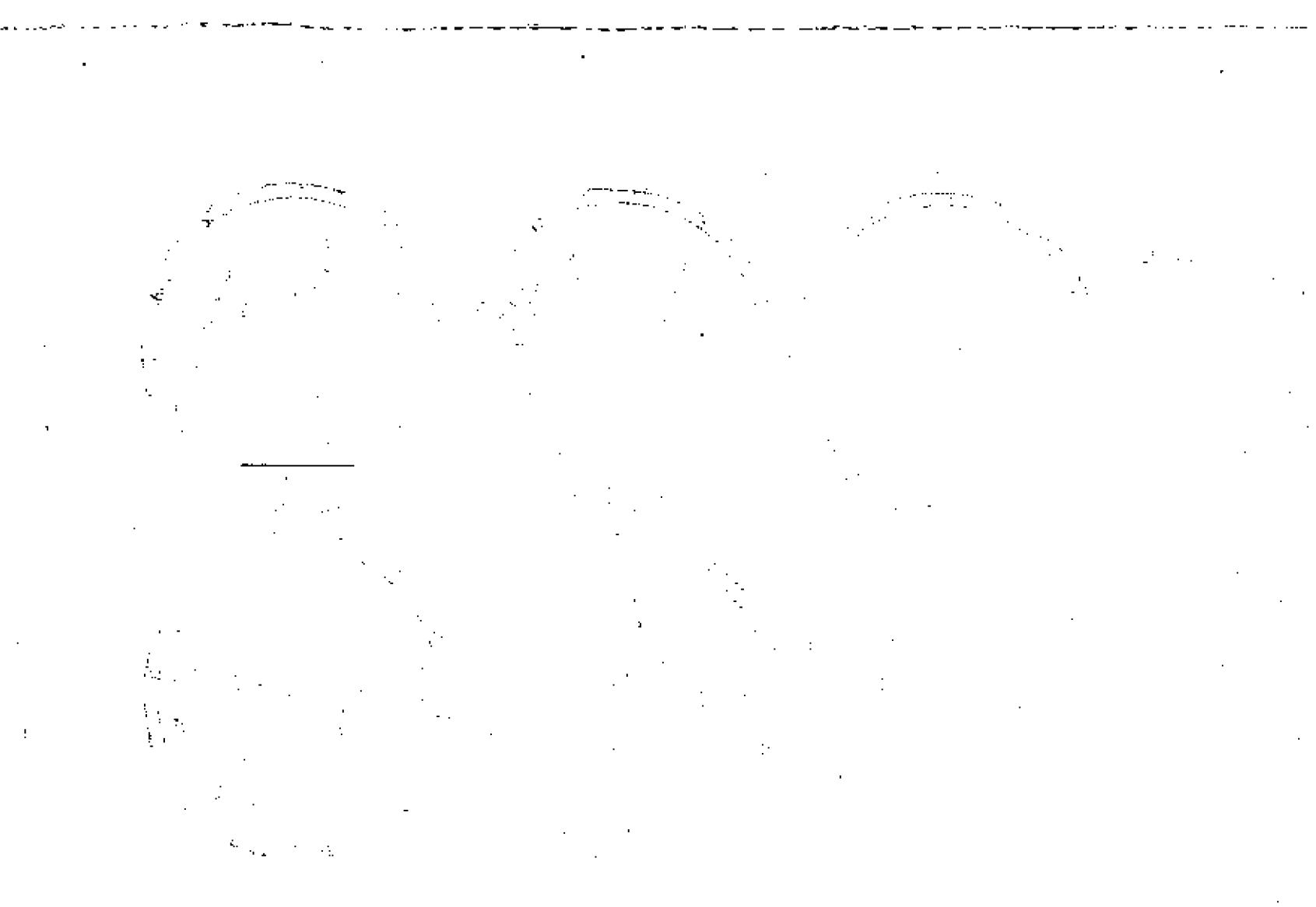

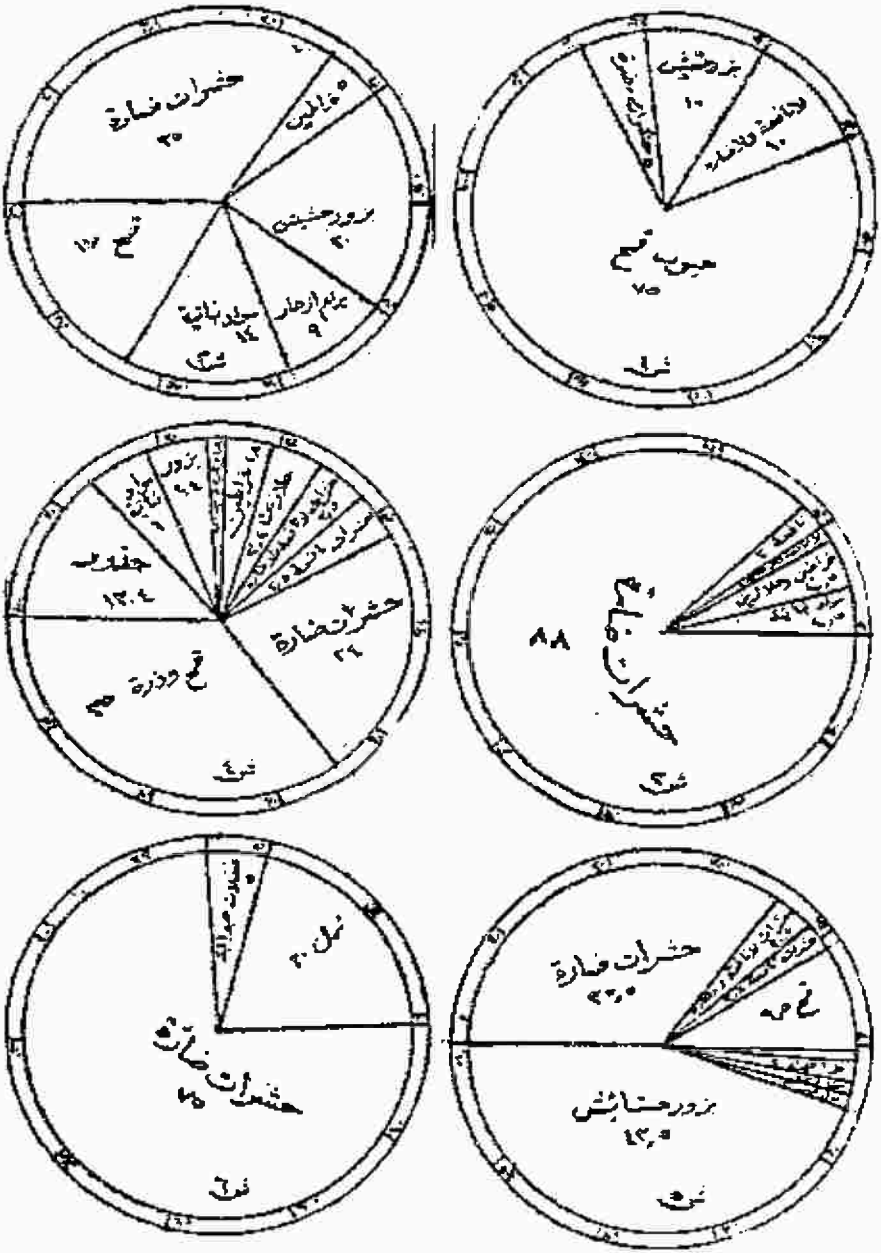


متتابع يونيو ١٩١٩

أمام الصفحة ٥٧٩